

مقتطف من كتاب: دليل الطالب الذكي في: علم النفس انطلاقاً من " قصر العينى " (3)



نشرة "الإنسان" 2019/01/20

السنة الثانية عشرة - العدد: 4159

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

مقدمة:

توقفنا في نشرة السبت 2018/12/1 عند مقتطف من كتاب قديم (مهم) عند سؤال يقول:

الطالب: فما هو الفرق بين الوظائف النفسية البدائية والوظائف النفسية الإنسانية الأرقى؟

ووعدنا أن نكمل بعد ذلك، لكن في زحمة وتنافس المقتطفات فاتتني أن أفي بوعدي في حينه، وهأنذا أفعل.

\*\*\*\*\*

مقتطف من كتاب: نشرة الاحد 2019-1-20

دليل الطالب الذكي في: علم النفس

انطلاقاً من "قصر العينى" (1)

.....

الطالب: فما هو الفرق بين الوظائف النفسية البدائية والوظائف النفسية الإنسانية الأرقى؟

المعلم: إن ترتيب المخ من الأدنى إلى الأرقى هو ترتيب معروف في علم التشريح، وعلم الفسيولوجيا العصبية، وهو نابع من فروض علوم التطور وعلم الأجنة المقارن والتشريح، وعلم الفسيولوجيا النفسية (2)، وعلى ذلك يمكن تقسيم الوظائف النفسية ارتقائياً على الأسس التالية:

(أ) كلما كانت الوظيفة انعكاسية ميكانيكية كانت أدنى وأكثر بدائية، مثال ذلك دافع الجوع وإرضائه بالأكل، وأبسط من ذلك إدراك الألم من مثير حسي مؤلم للجلد وسحب اليد انعكاسياً ميكانيكياً استجابة للغزّ وهكذا.

(ب) كلما كانت الوظيفة نابعة من عدد قليل محدود من النيورونات Neurons كانت بدائية أكثر،

كلما كانت الوظيفة انعكاسية ميكانيكية كانت أدنى وأكثر بدائية، مثال ذلك دافع الجوع وإرضائه بالأكل

كلما كانت الوظيفة نابعة من عدد قليل محدود من النيورونات Neurons كانت بدائية أكثر، والعكس صحيح

كلما كانت الوظيفة معبراً عنها بالتعبير الجسدي أو الحشوي أساساً كانت أكثر بدائية والعكس صحيح،

أن السلوك الانفعالي الذي يظهر في سورة الغضب، وكذا احمرار الوجه أو القى، هو أكثر بدائية من سلوك الأسى المؤلم والتوجع لقتل الوفاء، والالتزام بين بني البشر

أن الوظائف النفسية الإنسانية الأرقى بالذات يصعب تحديد موضعها Locality في المخ

أن العقل الباطن ليس في "البطن"، وأن اللاشعور ليس مفهوما مجردا في الهواء الطلق

أن كل ما يتعلق بالنفس هو في المخ .. والعقل الباطن أو اللاشعور هو أساسا نشاط تنظيم خائر في المخ أيضا بعيدا عن وعى الإنسان في لحظة بذاتها

هذا النشاط قد يظهر في أحوال أخرى مثل الحلم، أو بالتدويم، أو بتأثير بعض العقاقير، وأحيانا بالإثارة الكهربائية بقطب دقيق Micro Elctrode لبعض أجزاء المخ لشخص واع متطوع ومنذر تخديرا

إن وجود تنظيمات هرمية (هيراركية) Hierarchical في المخ، هو مفهوم عادي يساير مفهوم التطور ويساير وجود نفس التنظيمات الهراركية في الوظائف الأخرى مثل الإحساس والحركة

إذا كانت العقد القاعدية Basal Ganglia هي المركز البدائي للحركة، فليَ لا يوجد

والعكس صحيح، ومثال ذلك: أن خفقان القلب عند الخوف يشمل مسارات نيورونية محدودة، في حين أن التفكير للبحث عن تعريف شامل لماهية الحرية - مثلا - يشمل أغلب، إن لم يكن كل، خلايا المخ.

(ح) كلما كانت الوظيفة معبرا عنها بالتعبير الجسدي أو الحشوي أساسا كانت أكثر بدائية والعكس صحيح، ومثال ذلك أن السلوك الانفعالي الذي يظهر في سورة الغضب، وكذا احمرار الوجه أو القيء، هو أكثر بدائية من سلوك الأسي المؤلم والتوجع لقلة الوفاء، والالتزام بين بنى البشر.. وهكذا نجد أن الوظائف تترتب تصاعديا حسب "مدى" ما تشمل من نيورونات مساحةً وتشابكاتٍ.

الطالب: ولكن هل المدى وحده هو الذي يحدد ارتقاء الوظيفة أو بدائيتها؟

المعلم: لا.. بل يوجد أيضا النسق، ولكن هذا أمر أشد تعقيدا، ولم يستقر عليه العلماء بالنسبة لكل وظيفة، ولا مجال في هذا "الدليل" للإفاضة فيه، كل ما أرجو إيضاحه هو أن الوظائف النفسية الإنسانية الأرقى بالذات يصعب تحديد موضعها Locality في المخ، لأنها منتشرة تماما وهي وظائف كلية لايربطها "موضع" محدد بل "تنظيم"، وعلى نفس المبدأ فإن تحديد مواضع بذاتها للاضطرابات النفسية المختلفة يصبح أمرا منافيا لطبيعة ماهية النفس.

الطالب: إذا كان هذا هو شأن ترتيب وظائف المخ، أو الوظائف النفسية، فما هو موقع ما يسمى باللاشعور أو العقل الباطن؟ هل هو أيضا في المخ؟

المعلم: لاشك أن العقل الباطن ليس في "البطن"، وأن اللاشعور ليس مفهوما مجردا في الهواء الطلق، وأن كل ما يتعلق بالنفس هو في المخ .. والعقل الباطن أو اللاشعور هو أساسا نشاط تنظيم غائر في المخ أيضا بعيدا عن وعى الإنسان في لحظة بذاتها، ولكن هذا النشاط قد يظهر في أحوال أخرى مثل الحلم، أو بالتدويم، أو بتأثير بعض العقاقير، وأحيانا بالإثارة الكهربائية بقطب دقيق Micro Elctrode لبعض أجزاء المخ لشخص واع متطوع ومخدر تخديرا موضعيا فقط، والحقيقة أن هذه التجارب الأخيرة قد قام بها عالم جراح رائد هو "بنفيلد" Penfield واستعاد الشخص المتطوع بهذه الإثارة الكهربائية ذكريات قديمة لم يكن يتصور أنه ممكن أن يتذكرها، بل إن نفس الفكرة ألهمت عالما آخر (إريك بيرن) أن يثبت فرض وجود عدة تنظيمات في المخ تقابل حالات أشخاص متعددة في ذات الشخص الواحد (3) الطالب: كيف يمكن أن يكون المخ الواحد به أشخاص متعددين في ذات الشخص الواحد؟ هل هذا كلام؟

المعلم: لا هذا ليس كلاما، ولكنه علم، وليس هنا مجال تفصيل هذا الفرض، وإن كانت الفكرة الأساسية في غاية البساطة، وتقيد الطبيب بوجه خاص في تعامله مع مرضاه، ولا أعنى الطبيب النفسي بل أي طبيب، ومايهم في هذه النقطة هو عدة حقائق يستحسن إيضاحها في:

إن وجود تنظيمات هرمية (هيراركية) Hierarchieal في المخ، هو مفهوم عادي يساير مفهوم التطور ويساير وجود نفس التنظيمات الهراركية في الوظائف الأخرى مثل الإحساس والحركة، فإذا كانت الثالاموس Thalamus هي مركز الإحساس البدائي، وإذا كانت العقد القاعدية Basal Ganglia هي المركز البدائي للحركة، فليَ لا يوجد مستوى (أو مستويات) بدائية في التركيب النفسي؟

وكل مستوى تنظيمي في المخ يمثل كيانا متكامل (يمكن اعتباره شخصا)، ولكنه في حالة اليقظة يعمل ضمن الوحدة الكلية الممثلة للشخصية أو للنفس.

وفي الاحلام تتفكك هذه الوحدة وتظهر هذه التنظيمات في حركة مستقلة ورمزية ومحورة.

مستوى (أو مستويات) بدائية  
فى التركيب النفسى؟

كل مستوى تنظيمى فى المخ  
يمثل كيانا متكاملًا (يمكن  
اعتباره شخصًا)، ولكنه فى  
حالة اليقظة يعمل ضمن  
الوحدة الكلية الممثلة  
للشخصية أو للنفس

فى الاحلام تنفك هذه  
الوحدة وتظهر هذه  
التنظيمات فى حركة مستقلة  
ورمزية ومحدرة.  
وفى الجنون تنفك هذه  
الوحدة ويتعدد الوجود

أن المخ هو الحاوى لكل هذه  
التعديرات والمفاهيم من  
"لاشعور" إلى "عقد" إلى  
"عقل باطن" التى أسئ  
فهمها وأسئ استعمالها معا

أرفض تعبير  
"اللاشعور" unconscious  
هذا، لأنه تعبير بالنفسى،  
وكنيت أفضل أن نقول الشعور  
"الأعمق" أو "الأبعد" أو  
"الأخفى" أو "الأخر" بدلا من  
هذه الكلمة التى قد تحمل  
معان غامضة بل ملتبسة.

هناك عقاير إذا أعطيت  
تنفكت مستويات المخ،  
فاختلت وظائف النفس لدرجة  
الهلوسة

وفى الجنون تنفك هذه الوحدة ويتعدد الوجود، أى تعمل التنظيمات المختلفة مزدحمة فى تنافس  
وتصادم، وذلك فى حالات اليقظة وليست أثناء النوم فى الحلم فقط، وأظن أن هذه الإشارات العامة تكفى  
بما يسمح به حجم هذا الدليل وهدفه، وهو أن يدرك الطالب الذكى أن المخ هو الحاوى لكل هذه التعبيرات  
والمفاهيم من "لاشعور" إلى "عقد" إلى "عقل باطن" التى أسئ فهمها وأسئ استعمالها معا.

ومرة أخرى: لتعلم يا بنى أننى فى قرارة نفسى أرفض تعبير "اللاشعور" unconscious هذا، لأنه  
تعبير بالنفسى، وكنيت أفضل أن نقول الشعور "الأعمق" أو "الأبعد" أو "الأخفى" أو "الأخر" بدلا من هذه  
الكلمة التى قد تحمل معان غامضة بل ملتبسة.

الطالب: إذا كانت هذه هى علاقة علم النفس بعلم وظائف الأعضاء فما علاقته بعلم الكيمياء؟

المعلم: إذا كانت الوظائف النفسية تتغير وتتحوّل تحت تأثير الكيمياء، حتى فى الأحوال العادية: مثل  
تأثير المشروبات الكحولية، فإنه من الطبيعى أن ندرك للتو مدى تداخل الكيمياء بنسب معينة فى التوازن  
الوظيفى الكلى للمخ. والحقائق البسيطة التى توضح هذه العلاقة يمكن أن نوردتها كما يلى:

(أ) هناك عقاير إذا أعطيت تفككت مستويات المخ، فاختلت وظائف النفس لدرجة الهلوسة

Hallucination(4) والخلط، وتسمى هذه العقاير المُهلوسات، مثل الحشيش وعقار ل س د 25  
LSD 25.

(ب) هناك عقاير إذا أعطيت لمرضى يعانون من مظاهر اضطراب النفس، زالت هذه المظاهر، فإذا  
كانوا يهلوسون مثلا، كفوا عن الهلوسة .. وهكذا، ومن هذا وذاك ظهرت نظريات تقول إن المرض النفسى  
هو نتيجة لزيادة هذه المادة الكيميائية أو نقص تلك المادة، والحقيقة أن هذه استنتاجات متعجلة ومختزلة،  
فوجود مادة بالزيادة أو النقص، لا يعنى أن ذلك هو السبب المباشر فى هذا الاضطراب أو ذلك، بل قد  
يكون نتيجة للاضطراب ذاته، وغالبا يكون السبب هو خلل فى التنظيم الكلى نتيجة هذه الزيادة أو ذلك  
النقص.

وكل الفروض المتعلقة بالأسباب الكيميائية البحتة للأمراض النفسية، وهى فروض متواضعة، لاينبغى  
التسرع فى الاستناد إليها وحدها كحل استسهالى مباشر يفسر المرض النفسى وعلاجه .

الطالب: واحدة واحدة، لقد بدأت المعلومات تزدهم فى مخى، فقل لى بهدوء ما علاقة النفس بالمخ.

المعلم: إذا كانت النفس هى النشاط الكلى للمخ، فإن تركيب المخ له علاقة مباشرة بوظيفة النفس،  
ومخ ضعاف العقول مثلا (الدرجة الشديدة منهم) أقل وزنا وأقل فى عدد خلايا اللحاء من مخ الشخص  
العادى ..

الطالب: وما علاقة كل ذلك بحكاية البدائى والأنضج التى تلوح فى معظم كلامك أعنى علاقتها  
بالتطور .

المعلم: إن علم التشريح المقارن وعلم الأجنة Embryology المقارن هما من أهم العلوم التطورية،  
وهما يؤكد ان نظرية التطور التى هى أساسية فى فهم الترتيب الهرمى للمخ، ومن ثم لوظائف  
والمستويات النفسية، لكن توجل تفصيل ذلك الآن، ثم دعنا نؤكد ثانية أنه لا توجد منطقة بذاتها أمكن  
تحديدها تماما لوظيفة بذاتها من الوظائف النفسية.

الطالب: وهل كان هذا هو مفهوم المخ والوظائف النفسية عبر التاريخ ؟

\*\*\*\*

وبعد

دعونا نأمل أن نجيب على هذا السؤال وغيره في نشرة قادمة ولا نقصر كما فعلنا بالنسبة لهذه النشرة

[1] - للمقتطف: من كتاب (دليل لطالب الذكي في علم النفس انطلاقاً من "قصر العيني") (من 69 ص إلى 73) (الطبعة الأولى 1980)، (الطبعة الثانية 2018) منشورات جمعية الطب النفسي للتطوري، والكتاب موجود في الطبعة الورقية في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى طار للمقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مركز لراخوي للتدريب والبحوث: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة للمقطم، كما يوجد أيضاً حالياً بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net)

[2] - هذا للتعبير الفسيولوجيا النفسية Psychical physiology غير للتعبير لشائع عن علم النفس الفسيولوجي Physiological psychology آخذين في الاعتبار المفهوم الخاص للذي قدمناه هنا باعتبار علم النفس هو جزء لا يتجزأ من علم الفسيولوجيا أو هو أرقى فروع الفسيولوجيا بالمعنى للتطوري.

[3] - ولاحقاً أصبح الحديث باعتبار أنها عدة "أمخاخ" أو "عقول" وليس فقط "حالة طيات" أو "حالات ذوات"

[4] - سيأتي تعريف الهلوسة فيما بعد.

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200119.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200119.pdf)

\*\*\* \*\*

الكتاب السنوي 2019 1 "شبكة العلوم النفسية العربية" (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاماً من الكدح... 15 عاماً من العطاء "

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقاً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsynet.com>



شبكة علوم النفس العربية

ندوة لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً ... نذهب أبعد

هناك محققين إذا أعطيت  
لمرضى يعانون من مظاهر  
اضطراب النفس، زالت هذه  
المظاهر، فإذا كانوا  
يهلوسون مثلاً، كفوا عن  
الهلوسة

ان نظرية التطور التي هي  
أساسية في فهم الترتيب  
المرمي للمخ، ومن ثم  
للوظائف والمستويات النفسية

أنه لا توجد منطقة بذاتها  
أمكن تحديدها تماماً لوظيفة  
بذاتها من الوظائف النفسية.